

سيمياء العواطف في القصيدة المغربية المعاصرة قصيدة نداء لنبيلة حماني نموذجاً

ماجد قائد قاسم مرشد

طالب دكتوراه بكلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة سيدي محمد بن عبد الله

أبيّن - اليمن.

aboskher1982@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/11/15 - تاريخ القبول: 2021/02/23 - تاريخ النشر: 2021/03/29.

الملخص:

يعكس النص الشعري في القصيدة المغربية المعاصرة عند الشاعرة نبيلة حماني الحالة الشعورية والعاطفية للشاعرة، واندغام ذاتها بالآخر، فقد جاءت قصائدها مسكونة بالعواطف ومغمورة بالمشاعر الدافئة. إن سيمياء العواطف هي الشباك التي يصطاد الناقد من خلالها حزم الانفعالات وركام النوازع النفسية للذات الشاعرة وهي تبني نصها بناء نفسياً وفتياً. لذا تكمن إشكالية الدراسة في قدرة سيمياء العواطف في الكشف عن الدلالات الكامنة في النص، ومحاولة ملامسة الأبعاد الإيحائية باعتبار النص كوما من العلامات التي تحتضن المشاعر والانفعالات والعواطف. وقد اتخذنا من المقاربة السيميائية منهجاً متبعاً في دراسة النصوص، ومعرفة دور العواطف في نسج خيوط الدلالة، وحياسة المعنى. لقد خلصت الدراسة بأن سيمياء العواطف في القصيدة المغربية عند الشاعرة نبيلة حماني خصبت القصيدة، وساهمت في تخلق النص، وتشكل ملامحه الدلالية والجمالية.

الكلمات المفتاحية: سيمياء، العواطف، القصيدة، المغربية، نبيلة حماني.

Abstract.

The poetic text in the contemporary Moroccan poem of the poet Nabila Hamani reflects the feelings and emotional state of the poet, and the integration of herself with the other, as her poems were haunted by emotions and filled with warm feelings. The symmetry of emotions is the net through which the critic hunts bundle of emotions and the rubble of the psychological impulses of the poetical self and she builds her text psychologically and artistically. Therefore, the problematic of the study lies in the ability of the semiotics of emotions to reveal the underlying semantics in the text and try to touch the suggestive dimensions considering the text as a stack of signs that embrace feelings, affections, and emotions. We have taken the semiotic approach in studying texts and knowing the role of emotions in weaving the threads of significance and meaning. The

study concluded that the symmetry of emotions in the Moroccan poem of the poet Nabila Hamani enriched the poem, and contributed to the creation of the text, and the formation of its semantic and aesthetic features.

Keywords: semiotics, Interpretation, Emotions, the Moroccan Poem, Nabila Hamani.

1. مقدمة:

يمثل الاشتغال السيميائي على النص الشعري اتجاهات عدة، وقد اخترت هذه المقاربة في سيمياء العواطف التي أسسها جريماس وفونتي في كتابهما (سيمياء الأهواء)، وليس القصد منها "دراسة العلامات الدالة على الأهواء بل الاهتمام بالآثار المعنوية كما تتحقق في الخطاب" (1). يعتبر الخطاب الشعري صورة لحياة الشاعر ومراة عاكسة لميولاته وأحاسيسه، فهو مغارة الوجدان وحقل مليء بالمشاعر والعواطف، والشاعرة نبيلة حماني شاعرة رقيقة المشاعر مرهفة الأحاسيس صادقة العواطف تعبر عن انفعالاتها وتجاربها الشعورية والشعرية من خلال الحرف الشعري، فقد مزجت قصيدتها بين المضمون النفسي الذي تدخل ضمنه العواطف المختلفة والشكل الفني الذي هو التعبير الخطابي عنها.

تنبثق الإشارات العاطفية من الذات الشاعرة لتشتت في النص، وهذا يستدعي تداخل السيمياء بعلم النفس، ولكن البحث في هذه العلامات ليس من جهة تأثيرها النفسي، ولكن من جهة مقدرتها على إنتاج المعاني وتوليد الدلالات وتشفيرها. إن البحث عن سيمياء العواطف في النص مقارنة أكثر عمقا تغوص في أعماق النص لتتصيد درره الدلالية التي تتمتع بمكانة كبيرة داخل تشكل النص وتكوينه وفهم معانيه.

فالمقاربة تسعى إلى بناء الدلالة في بعدها العاطفي، وما يسكنها من ومضات وجدانية وحالات شعورية.

ويهدف هذا البحث إلى بيان تجليات سيمياء العواطف في قصيدة (نداء) للشاعرة نبيلة حماني، عبر آلية نقدية سيميائية يمكنها الكشف عن العواطف وتجليات الحالة الشعرية والشعورية لذات الشاعرة الكامنة في النص، بمعنى آخر ليس ذات الشاعرة التي نطقت النص، بل الذات الشاعرة الموجودة داخل النص "فالأنا الشعرية (أو الذات) ليس هو الشخص المتكلم الحي" (2). إنها "ذات تسبح في نسيج النص وجسده وروحه فاعلة متفاعلة بلا حدود تحد من حركتها في فضاء الخطاب" (3). فمن خلال الذات الشاعرة المشكلة للنص يمكننا معرفة رؤية الشاعرة للكون، وفهم عوامله، وقد سيطر على مفاصل القصيدة ثلاثة مواقف عاطفية تمثل العاطفة الأولى تجاه الشعر، والعاطفة الثانية تجاه الوطن، والعاطفة الثالثة تجاه اللغة العربية، وهذه المواقف هي عواطف ومشاعر وأحاسيس أفرزتها لحظة شعرية شعورية، لا يمكن إغفالها في النص، ولها آثارها الجوهرية في النص، باعتبارها منتجة للمعاني ومكونة للدلالات وفائضة بالإشارات والإحياءات، اقتضت تقسيم الدراسة إلى ثلاثة مباحث، عنون المبحث الأول سيمياء عاطفة الولع بالشعر، وتناول المبحث الثاني

سيميا حب الوطن، ودرس المبحث الثالث سيماء عشق العربية عند الشاعرة، وختمت الدراسة بخاتمة.

2. المبحث الأول: سيمياء عاطفة الولع بالشعر.

لا يمكننا الوقوف على العواطف والإمساك بها، كونها لحظة شعورية عاطفية، ولكن يمكننا الوصول إليها عبر العلامات والإشارات اللغوية وغير اللغوية في النص. أضحت الذات الشاعرة محور العملية الإبداعية ومركز التجربة الشعرية،

فقد أصبحت هي الفاعل الرئيسي لفعل الشعر وبؤرة عالمه(4). "لها قدرتها على الرؤية الشمولية للكون وابتلاعه وتمثل الحياة وفوران حركتها. لذا اتسعت الذات الشاعرة في نص (نداء) للشاعرة المغربية نبيلة حماني وظهرت جمالياتها في مغارات النص، فبدت في غاية الحسن والجمال كقلادة من المشاعر والأحاسيس جعلت عشق الشعر من جهة وولع اللغة العربية من جهة وحب الوطن قلادة العقد.

تمثل العواطف في النص هوية الذات الشاعرة العربية المبدعة الأصيلة ف "ذات الشاعر هي حقيقة الشاعر، هويته الشخصية، ما به يكون الشاعر ذاته أي شاع أربعيته، وليس أي شاعر آخر، أي مقومات وجوده الواقعي أو الموضوعي، بوصفه إنسانا + متميزا أو موهوبا، بوصفه كائنا اجتماعيا تهض فيه إمكانية التفرد"(5). بدأت الشاعرة نفسها الشعري بالإشارة إلى الشعر باعتباره الفن والعلم الذي يعبر عن خلجان الذات، وهو الفن الذي يستوعب الكون بجماله، وهو الحرف الذي يطرب القلوب قبل الأسماع. إذا صاح قول الشعر بصوته لبت دعوته على الفور ومنحتها حيا المتدفق وروحها الغالي، تتبع مسارات نداءاته في كل الآفاق، وتكتبه يراعا يشنف الأذان، فالذات الشاعرة قد اندمجت مع الشعر وصار نفسها الذي لا يمكن الاستغناء عنه، فما إن ورد هاجسه إلا حركت أناملها في لحنه وعزفه، تقول:

إِذَا الشَّعْرُ نَادَى أَجَبْتُ النِّدَاءَ وَأَرْسَلْتُ رُوحِي تَجُوبُ الْفَضَاءَ
تَحَلَّقُ كَالطَّيْرِ فَوْقَ الرِّوَابِي وَكَالْعُنْدَلِيْبِ تَرِيْقُ الْغِنَاءَ (6)

تعبر الشاعرة عن نزعتها الذاتية العاطفية تجاه الشعر، وتجعل منه ذلك الفضاء الرحب الذي لا حدود له، تنتقل ذاتها بين حروفه وأوزانه وتفعيلاته كالعصفور من شجرة لأخرى، وترنم بموسيقاه كما يترنم العندليب ذلك الطائر المغرد المدلل الجميل، فالشعر هو ذاتها إنه وهج روحها ونور الحياة ومصباح سعادتها الذي لا ينطفئ، تقول:

أَنَا الشَّعْرُ مِرَاةُ رُوحِي وَفِيهَا أَرَانِي كَشَمْسٍ تُشِعُّ الضِّيَاءَ وَأُرْخِي جَدَائِلَ طَهْرِي وَدِفْءِي
عَلَى الْكُوْنِ فِي صَيفِهِ وَالشِّتَاءِ أَزَاهِيْرُ شَعْرِي فَاحَ شَذَاهَا
كَأَنِّي قَوَارِيرَ عِطْرِ النَّقَاءِ وَأَرْسُمُ بِالْحَرْفِ لَوْحَاتٍ عِشْقِي
تُكَجِّلُ عَيْنَ الضُّحَى وَالْمَسَاءِ (7)

فالشعر عند الذات الشاعرة نبض الحياة، والحب السري لديمومتها، وهو سر نجاحها، وذيوع شهرتها، تقول:

هُوَ الشَّعْرُ يَا سَادَتِي نَبْضُ قَلْبِي وَيَجْرِي بِأُورْدَتِي كَالْإِيمَاءِ
رَضَعْتُ حَلِيبَ الْمَشَاعِرِ حَتَّى غَدَوْتُ بِشَعْرِي أَبْهَى النِّسَاءِ (8)

يتمثل نسق عاطفة الذات المتعلقة بالشعر عن الشاعرة بقولها (أجبت النداء، وأرسلت روعي، تجوب الفضاء، تخلق كالطير، أنا الشعر مرآة روعي، أرني كشمس تشع الضياء، أرسم بالحرف، لوحات عشق، نبض قلبي، يجري بأوردتي، غدوت بشعري، أبهى النساء) كل هذه الدوال والعلامات تكشف جليا ولع الذات الشاعرة بالشعر باعتباره فنا له شعوره الداخلي ومنجزا قوليا إبداعيا يصور حالاتها، ويصف تفاعلاتها، إذ بداخل هذه الذات تتخلق العملية الشعرية ممتزجة بمشاعرها، فتتغير بتغيراتها. إن الشعر نتاج متنفس الذات "يلقي بعض الأضواء التي تساعد في فهمها" (9). والشعر والحب يتجاوزان وقد امتزجا في الذات الشاعرة فجعلها رقيقة المشاعر مغمورة بالفرح والسرور والارتياح والسعادة والنور والبهاء، وكلها عوطف ومشاعر ممزوجة بالسعادة توحى بالذات الإيجابية عند الذات الشاعرة، وصور تزيد النص إشراقا وجمالا.

3. المبحث الثاني: سيمياء حب الوطن.

يعد الوطن للشاعر بيته الكبير، وصرحه الشامخ، يتحدث عن أمجاده ويفخر بانتصاراته ويشيد بإنجازاته، فهو تجسيد للهوية والانتماء، وهو نبض القلوب، وفكر العقول، وذاكرة لا تفارق، يعبر عنه بدلالات رامزة كالمكان والزمان وغيرهما.

فالوطن بالنسبة للشاعر انصهار الذات الشاعرة في مكان ما. فالتعلق بالوطن مصدر مهم وملهم للشعراء وموطن فكري خصب، يمنح النص نضجا فنيا وجماليا. أصبح المكان تيمة فنية يدرسها النقاد، حيث ينطلق لوتمان في تحليله للمكان من مقولة أساسية مؤداها "أن اللغة هي النظام الأولي لتحويل العالم إلى أنساق تكون دلالية" (10). بدأت الشاعرة عاطفتها نحو الشعر لعمق رؤيتها بإدراك الصلة الوثيقة بين ولع الشعر وحب الوطن، فبين الشعر الوطن حكاية عشق لا تنقطع، والمكان الوطن معناه الحرية، لهذا فـ "العلاقة بين الإنسان والمكان تظهر بوصفها علاقة جدلية" (11). إن الوطن هو الهوية والوجود والأرض والحب والأهل والانتساب، وهذه الرؤيا انسابت شعرا في الذات الشاعرة تقول:

إِذَا مَا دَعَا وَطَنُ الْكِبْرِيَاءِ لِكَيْ نَفْتَدِيَهُ كُنْتُ الْفِدَاءِ
هُوَ "الْمَغْرِبُ" الْحُرِّيْسُ كُنْ فِينَا وَفِيهِ اِمْتَطَيْنَا خُيُولَ الْإِبَاءِ
عَلَى أَرْضِهِ قَدْ أَقِيمَتْ "صُرُوحُ" تُنَاكِبُ كُلَّ نُجُومِ السَّمَاءِ (12)

يتجلى نسق عاطفة حب الوطن (وطن الكبرياء، كنت الفداء، المغرب الحر، خيول الإباء، أقيمت صروح، تنكب، نجوم السماء)، وهي أنساق تحمل دلالات الحب العميق والعاطفة الجياشة تجاه الوطن، فهو وطن معشوق تفتتن به القلوب، ويفتدى بالأرواح، وطن الكبرياء والشمخ والإباء

والعز والسودد. ارتبطت الشاعرة نبيلة حماني ارتباطا وثيقا بفاس فهي مهبط رأسها وموطن ترعرعها ونشأتها وصباها، وفاس العاصمة الثقافية للمغرب، عبرت عن ذلك بقولها:

أَنَا بِنْتُ " فَاسٍ " تَرَعَرَعْتُ فِيهَا هِيَ الْأَبُّ وَالْأُمُّ وَالْأَصْدِقَاءُ
تُرَابُكَ يَا فَاسَ تَبْرُؤَمَاسُ وَلَيْسَ يُضَاهِي بِهَآكَ بَهَاءُ (13)

تصور الذات الشاعرة الوطن لوحة بهية تلونها ذكريات الطفولة وأيام الصبا، وجلسات الوالدين والأحبة والأصدقاء، ففاس وطنها الصغير ومحط قلبها، تسترسل محبتها لها فهي الأب والأم والأصدقاء، وت اربها مسك لا يضاهي، وتواصل رسم الصور فتتجلى تصوير الجمال فيها المتمثل في أهم معالمها التاريخية والعلمية (مسجد القرويين)، تقول:

فَفِي " الْقُرُوبَيْنِ " مُنْذُ قُرُونٍ مَضَتْ، كَمْ تَخَرَّجَ مِنْ عُلَمَاءُ (14)

تحدثت الشاعرة عن مكانة القرويين وقيمته في نشر العلم، فهو منبر للعلم، ومنارة للثقافة، تخرج منه العلماء الأكابر الذين نشروا العلم والدين في كل ربوع الدنيا، وقد وصفهم بالحافظين لكتاب الله، الحاملين لمشعل العلم، تقول:

وَكَمْ بَلَّغُوا بِالْمَعَارِفِ شَأْوًا وَقَدْ دِيلُهُمْ فِي الظَّلَامِ أَضَاءُ
هُمْ الْحَافِظُونَ لِقُرْآنِ رَبِّي هُمْ النَّابِغُونَ، هُمْ الْأَدَبَاءُ
هُمْ النَّاطِقُونَ بِكُلِّ اللُّغَاتِ وَلِلضَّادِ أَصْلُ اللُّغَاتِ الْوَلَاءُ (15)

يبدو في النص إيمان الذات المبدعة بوطنها وتاريخه وت ارثه إيمانا يملأ كيائها، إنه إيمان الوطني الصادق الغيور. وقد ترجمت الذات الشاعرة العشق ال صادق للوطن والتعلق الشديد به، والشغف الكبير به، فتجلى كل ذلك في أنساق المكان التي وظفتها بشكل مميز وبصور جمالية جعلت الوطن (المغرب) وطن الشموخ والكبرياء، المسرح البشري الكبير، ومن مدينة (فاس) الجميلة مدينة العشق والسعادة، ومن (القرويين) منارة للعلم والثقافة، ومنابر تشع نورها في كل مكان وزمان. تنوع توظيف المكان بين السياسي والاجتماعي والديني والتاريخي.

تتجلى عاطفة حب الوطن في صور تشع جمالا غرقت فيه الذات الشاعرة فسرى الوطن مسرى الدم في العروق، وانتشت بأصالها وعراقتها المغربية، صور عّبرت عن المشاعر الجياشة والقياضة التي تكنها الذات الشاعرة لوطنها من الحب والعشق والولع والذكريات والفرح والسعادة.

4. المبحث الثالث: سيماء عشق العربية.

هناك ترابط بين مواقف الشاعرة في النص وبين عواطفها التي امتزجت بين الحب والعشق والولع والدفاع عن الشعر والوطن واللغة العربية لإدراكها العميق لما تمثله هذه المقومات في تركيب الهوية، واللغة العربية هي لغة الوحي ووسيلة التواصل بين أبنائها، وأهم مقومات هوية الأمة، ووعاء ثقافتها ومجتملى حضارتها ومراة نهضتها وحاضنة تراثها وهي ذاكرة الأمة وتاريخها. ما يثير انتباه القارئ

ربط الشاعر الوطن باللغة العربية في النص، فبين الوطن واللغة تعالق كبير، فمادام الوطن مكان "فإن اللغة العربية مرتبطة بالمكان" (16). يعبر بها أهل المكان عن أغراضهم، وعن مكنوناتهم ومشاعرهم. تشير الشاعرة لأهمية اللغة باعتبارها "العنصر الأساس في تشكل هوية أمة أو شعب من الشعوب" (17). فهي جزء من تكوين شخصيتها وتجذير هويتها، والهوية سمة إنسانية، فبين هوية الذات الشاعرة ولغتها العربية تعالق وثيق، وارتباط عميق، تقول:

هُمِ النَّاطِقُونَ بِكُلِّ اللُّغَاتِ وَقَدْ دِيلُهُمْ فِي الظَّلَامِ أَضَاءُ
أَحْبُوكِ يَا لُغَتِي، لَا أَمَارِي هُمْ النَّابِغُونَ، هُمْ الْأُدَبَاءُ
وَأَنْتِ السَّلَامُ بِجَنَاتِ عَدْنٍ وَلِلضَّادِ أَصْلُ اللُّغَاتِ الْوَلَاءُ (18)

تقف الشاعرة موقف المدافع عن اللغة العربية، فهي في نظرها أصل اللغات، ويظهر نسق العاطفة للغة العربية بقولها (الولاء، أحبك يا لغتي، أنت الخلود، وأنت البقاء، وأنت السلام، ومنك السلام) تكشف هذه الأنساق عن العاطفة الجياشة والمحبة الصادقة للشاعرة تجاه لغتها، وهذا الموقف يوقف القارئ، ويدفعه إلى البحث عن هذه العواطف المناسبة في النص، كما أن نسق عاطفة الحب والعشق للعربية زاد النص إشراقاً وجمالاً.

خاتمة:

إن التقاط العلامات والإشارات العاطفية النصية في القصيد واصطياد معانيها يعد مؤشراً راسماً على النظرة العاطفية الإيجابية للذات الشاعرة، ويكشف عمق رؤيتها للأمور، وتصورها الفني والجمالي.

تتميز القصيدة بقوة الخيال وفاعلية الإثارة وعمق الرؤية وروح الشاعرية وهو ما جعل الذات الشاعر تزخر بعاصفة من العواطف الإيجابية والطاقت الدلالية الجمالية الكامنة في ثنايا النص. تتمدد الذات الشاعرة في النص من حقل الشعر إلى حقل المكان المتمثل بالوطن إلى حقل اللغة وكلها حقول تفصح عن هوية الذات الشاعرة في النص، وأكسبت النص معاني الشغف ودلالات الولع التي تدهش المتلقي وتثير اهتمامه للوقوف على هذا التراتب. جاءت النصوص ترجمة للذات الشاعرة تعكس حبها تجاه وطنها والحرف واللغة العربية وعمق ارتباطها بهم، ما جعل النص ينبض بالعواطف الجياشة.

الهوامش:

- (1) ألجيرداس. ج. غريماس، وجاك فونتيني، سيميائيات الأهواء: من حالات النفس إلى حالات الأشياء، تر: سعيد بنكراد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص: 10-11.
- (2) صلاح فضل، شيفرات النص: دراسة سيميولوجية في شعرية القص والقصيد، عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط2، 1995، ص: 80.
- (3) فاضل أحمد القعود، جدلية الذات والآخر في الشعر الأموي: دراسة نصية، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2012، ص: 30.
- (4) صلاح فضل، شيفرات النص: دراسة سيميولوجية في شعرية القص والقصيد، مرجع سابق، ص: 44.
- (5) عبد الواسع الحميري، الذات الشاعرة في شعر الحداثة العربية، المؤسسة العامة للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1999، ص: 30.
- (6) نبيلة حماني، لك أن تحيا في دمي، مطبعة ووراقة بلال، فاس، المغرب، ط1، 2018، ص: 80.
- (7) المصدر نفسه، ص: 80-81.
- (8) المصدر نفسه، ص: 80.
- (9) عز الدين اسماعيل، التحليل النفسي للأدب، دار غريب للطباعة، القاهرة، مصر، د. ط، د. ت، ص: 12.
- (10) يوري لوتمان، مشكلة المكان الفني، تر: سيزا قاسم، ضمن كتاب جماليات المكان، عيون المقالات، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1988، ص: 64.
- (11) المرجع نفسه، ص: 62.
- (12) نبيلة حماني، لك أن تحيا في دمي، مصدر سابق، ص: 80-81.
- (13) المصدر نفسه، ص: 80، 81.
- (14) المصدر نفسه، ص: 82، 83.
- (15) المصدر نفسه، ص: 83.
- (16) مصطفى حركات، العربية بين البعد اللغوي والبعد الاجتماعي، دار الآفاق، الجزائر، د. ط، 2017، ص: 41.
- (17) باسم يونس البديرات، اللغة وأثرها في تجذير الهوية العربية والإسلامية في عصر العولمة، مجلة المجمع، ع11، 2016، ص: 42.
- (18) نبيلة حماني، لك أن تحيا في دمي، مصدر سابق، ص: 83، 84.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ألبيرداس. ج. غريماس، وجاك فونتيني، سيميائيات الأهواء: من حالات النفس إلى حالات الأشياء، تر: سعيد بنكراد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2010.
2. صلاح فضل، شيفرات النص: دراسة سيميولوجية في شعرية القص والقصيد، عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط2، 1995.
3. فاضل أحمد القعود، جدلية الذات والآخر في الشعر الأموي: دراسة نصية، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2012.
4. عبد الواسع الحميري، الذات الشاعرة في شعر الحداثة العربية، المؤسسة العامة للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1999.
5. نبيلة حماني، لك أن تحيا في دمي، مطبعة ووراقة بلال، فاس، المغرب، ط1، 2018.
6. عز الدين اسماعيل، التحليل النفسي للأدب، دار غريب للطباعة، القاهرة، مصر، د. ط، د. ت.
7. يوري لوتمان، مشكلة المكان الفني، تر: سيزا قاسم، ، ضمن كتاب جماليات المكان، عيون المقالات، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1988.
8. مصطفى حركات، العربية بين البعد اللغوي والبعد الاجتماعي، دار الآفاق، الجزائر، د. ط، 2017.
9. باسم يونس البديرات، اللغة وأثرها في تجذير الهوية العربية والإسلامية في عصر العولمة، مجلة المجمع، ع11، 2016.